

العقيدة - العقيدة من مفهوم القرآن والسنة - الدرس (08-40) : نواقض الإسلام -1
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-07-2003

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

موضوع الدرس اليوم :

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثامن من دروس العقيدة الإسلامية ، وصلنا في موضوعات العقيدة إلى موضوع ينبغي أن ندقق في فهمه، ألا وهو نواقض الإسلام، لو أن إنساناً معه ورقة مالية بمليون أو بمئة مليون، وهي ورقة مزورة، الأولى أن يعلم أو لا يعلم ؟ الأولى أن يعلم، لماذا؟ من أجل ألا يبني آمالاً من دون أسباب، من أجل ألا يبني أحلاماً من دون أسس، فالحقيقة المرة دائماً وأبداً هي أفضل ألف مرة من الوهم المريح.

الحقيقة: كل واحد من المسلمين راض عن إيمانه، لكنه ليس راضياً عن رزقه، والأولى ألا ترضى على ما نثوهم ما هو إيمان، فلذلك باب نواقض الإسلام بابٌ خطيرٌ وأساسِيٌّ في العقيدة الإسلامية، فالشرك ينقض الإسلام، وقد قال الله عز وجل:

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِنَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)

[سورة يوسف الآية: 106]

احفظ هذه المعادلة :

لو تصورنا أن عقيدة التوحيد راسخة في الإنسان، هناك آلاف الأمراض يشفى منها، أمراض القلق، وأمراض الخوف، وأمراض النفاق، وأمراض الخنوع والخضوع، هذه الصفات التي تزرى بالإنسان ، والتي تحبط به عن أن يكون عزيزاً، كل هذه الأمراض بسبب ضعف التوحيد، لأن الإنسان إذا أيقن أن الذي وهبه الحياة، لا يمكن أن يسمح لأحد أن يأخذها منه إلا الذي وهبه إياها، وأن الله سبحانه وتعالى

تكفل بأرزاق العباد، وكلمة الحق لا تقطع رزقاً، ولا تقرب أجلاً، لذلك تقوى شخصيته ويتفاعل ويطمئن إلى عهد الله عز وجل، فالصحة النفسية تساوي التوحيد، والأمراض النفسية تساوي الشرك:

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)

[سورة يوسف الآية: 106]

متى يحبط العمل؟ :

قال تعالى:

(وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

[سورة الزمر الآية: 65]

إذا أشركت يحبط العمل، كيف؟ لو كان العمل مقبولاً عند الناس، لكنك لم تقدم عليه ابتغاء وجه الله، بل ابتغاء أن يرضى الناس عنك، إذاً هذا شرك، بل ابتغاء السمعة، إذاً هذا شرك، ابتغاء الثناء العطر هذا شرك، ابتغاء أن تعلق في الأرض هذا شرك، فهذا العمل على أنه عمل عظيم، لا وزن له في الآخرة. يا رب قرأت القرآن في سبيلك، فيقال له : كذبت، قرأت القرآن ليقال : قارئ، وقد قيل : يا رب علمت العلم في سبيلك، فيقال له يوم القيامة: كذبت، علمت العلم ليقال: عالم، وقد قيل: يا رب قاتلت في سبيلك، فيقال له: كذبت، قاتلت ليقال عنك شرعاً، وقد قيل، هكذا فحوى الحديث.

إذاً: إذا أشرك الإنسان بحط عمله، يعني سقطت قيمة العمل، لا قيمة له، هذا إذا كان عملاً عظيماً . المعنى الآخر للإحباط : أن الإنسان حينما يشرك ، يصبح عمله ساكناً، يرتكب أشنع الأعمال، يسلك أضييق الطرق، ينحط انحطاطاً لا حدود له، فإحباط العمل إما بذهاب قيمته أو بهبوط مستواه:

(وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

[سورة الزمر الآية: 65]

من المعلوم :

ومعلوم إليكم: أن الله سبحانه وتعالى لا يغفر أن يشرك به، هناك ذنبٌ يغفر، وهناك ذنبٌ لا يغفر، وهناك ذنبٌ لا يترك، ما كان بينك وبين العباد لا يترك، وما كان بينك وبين الله يغفر، وما كان شركاً لا يغفر إلا أن تتوب:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ)

[سورة النساء الآية: 48]

الحقيقة: الشرك أنواع، أنواع منوعة ، الباطل متعدد، أما الحق واحد:

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)

[سورة الأنعام الآية: 153]

السبل جاءت جمعاً، أما الصراط المستقيم فجاء مفرداً، يخرجهم من الظلمات جمع ، إلى النور مفرد، الحق لا يتعدد.



بالمناسبة: من السهل جداً أن تستوعب الحق، لأنه واحد، ويكفي أن تستوعبه ليكون ميزاناً لك، لكن من المستحيل، ومن أشد أنواع الاستحالة، مستحيل وألف مستحيل أن تستطيع في عمر محدود أن تستوعب الباطل، الباطل لتعددته وكثرته لا يستوعب، فمن سلك في هذا الطريق فهو طريق مسدود، من أجل أن تستوعب عقيدة فئدة ضالة تحتاج إلى أعوام مديدة ، فلو أردت أن تستوعب كل الضلالات ، لا تكفي أعمار أمة لاستيعابها، ففرق كبير بين أن تستوعب الحق فيكون مقياساً تقيس به كل شيء، وبين أن تخوض في الباطل فتمضي الأعمار ، ولا تصل إلى مبتغاك.

من أنواع الشرك :

1- أن تجعل لله شريكاً في الملك والتصرف :

أيها الأخوة، هناك من يؤمن بالله، ولكن يجعل لله شريكاً في التصرف ، في الملك ، وفي التصرف؛ أي خلقاً، وحياءً، ورزقاً، وموتاً، وضراً، ونفعاً .

يعني نحن في هذه الأحداث : لمجرد أن تعتقد أن وحيد القرن بإمكانه أن يدمر أمة كما فعل في العراق، لمجرد أن تعتقد أن الله لا علاقة له بهذا، إلا أن هذا القوي دمر أمة ، هذا الكلام هو عين الشرك، حينما تعتقد أن لهذا الكون مالكا غير الله، وحينما تعتقد أن لهذا الكون متسلطاً غير الله، فهذا الشرك بعينه . أحد أنواع الشرك: أن تعتقد أن لهذا الكون مالكا غير الله، وأن لهذا الكون متصرفاً غير الله، هذا شرك

دون أن تشعر، حينما تستمع إلى الأخبار، وقد تكون الأخبار قاسية جداً، شعب مسلم يدمر، حينما تتوهم أن الله لا علاقة له بهذا، ولكن هذا القوي الجبار استطاع أن يفعل هذا، هذا هو الشرك بعينه.

من نتائج الشرك :

الشرك من نتائجه: الانقباض، الضيق، والقلق، ثم الإحباط، الشرك أن تؤمن بالله، وأن تؤمن مع إيمانك بالله: أن في الأرض أقوىاء يفعلون ما يريدون، ويدمرون ما يشاؤون، ويفقرن ويغنون، فالخلق بيد الله، والحياة بيد الله، والرزق بيد الله، والموت بيد الله، والضرر بيد الله، والنفع بيد الله، هذا هو الإيمان، مع الإيمان راحة نفسية، مع الشرك عذاب نفسي، والدليل:

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمَعْدِبِينَ)

[سورة الشعراء الآية: 213]

أحد أكبر أسباب العذاب النفسي: أن تدعو مع الله إلهاً آخر.

قف هنا :

يقول النبي عليه الصلاة والسلام، فيما يرويه عن ربه، في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

((كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتُمِّي، أَمَا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فِقَوْلُهُ: إِنِّي لَأُعِيدُهُ كَمَا بَدَأْتُهُ، وَلَيْسَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَعَزَّ عَلَيَّ مِنْ أَوْلَاهِ، وَأَمَا شَتْمُهُ إِيَّايَ فِقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدًا))

الآن كلام الناس دون أن يشعروا : الدهر قلب لي ظهر المجن، ما هو الدهر؟ الدهر إله ، الآخر يقول : سخر القدر منك، ثالث يقول: دارت الأيام عليه، كلمة أيام لا معنى لها، وكلمة دهر لا معنى لها، وكلمة فلان ليس له حظ لا معنى لها، لا حظ ولا قدر بالمفهوم الشركي، ولا دهر إلا الله، فأنت حينما تعتقد أن في الأرض شيئاً ظاهراً أو مخفياً، هو الذي يفعل كل شيء ، والله لا علاقة له بذلك، فهذا عين الشرك أيضاً.

2- من يصف نفسه بصفات هي لله عز وجل :

الآن هناك نوع آخر من الشرك: من يصف نفسه بصفات هي لله عز وجل، ماذا قال فرعون؟:

(أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى)

[سورة النازعات الآية: 24]

(مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)

[سورة القصص الآية: 38]

من الأقوال التي نعتقد فيها الشرك :



وبعضهم قال : عقب سنوات القحط، وعقب التوهم الساذج ، أن بالإمكان أن تنزل الأمطار بطريقة أو بأخرى، فقال : استغنيانا عن رحمة السماء، هذا شرك، فإذا أقمنا سدأ لا نستغني عن رحمة السماء، لأن مياه السد من السماء، فحينما تدعي أنك فعلت شيئاً هو فعل الله عز وجل، من هو الرزاق؟ هو الله . حينما شحت الأمطار في هذه البلاد في

سنوات مضت، والمياه الجوفية هبطت وكادت تغور ، والمزروعات هددت والقلق عم، والناس جأروا بالدعاء، ألا تستطيع جهة أرضية أن تستصدر قراراً بإنزال الماء، من الذي يهب الحياة؟ من الذي يهب أسباب الحياة؟ الله عز وجل تفضل علينا في هذا العام بأمطار عالية النسب، بمستويات في التهطل ، تكاد تصل إلى الضعف في معظم المناطق، لولا أن الله تفضل علينا ماذا نفعل؟:

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ)

[سورة الملك الآية: 30]

ما قيمة هذه المدينة دون ماء؟ والله عز وجل يرينا في بعض المناطق أثر الجفاف وانعدام الأمطار ، يموت النبات، ويموت الحيوان، يرحل الإنسان.

مرت أيام كنا مهددين بكأس الماء، من ثلاثة وثلاثين متراً في الثانية إلى نصف متر مياه عين الفيحة، حينما تقول: أنا بهذا السد أستغني عن رحمة السماء، وأنا ربكم الأعلى كما قال فرعون، ويبيدي أن أعطي وأن أمنع، هذا نوع آخر من الشرك، أي أن تلبس لبوساً ليس لك.

عاقبة المستكبر على الله :

ورد في بعض الأحاديث الشريفة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِزَّةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود في سننه]

وأنا أسأل الله أن يلهم أعداءنا أن يتكبروا، وهم يتكبرون، لأن تكبرهم سينتهي إلى أن يقصمهم الله عز وجل.

قيل قبل أسابيع : من يستطيع في العالم أن يجبرنا على أن نفي بعهودنا ومواثيقنا؟ الحقيقة لا أحد، ما أهلك الله قوماً إلا وذكرهم أنه أهلك من هم أشد منهم قوة إلا عاداً، لما أهلكها قال:

((أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة))

[سورة فصلت الآية: 15]

ما كان فوق عاد إلا الله.

حديث آخر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ

نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود وابن ماجه في سننهما، وأحمد في مسنده]

حديث ثالث:

((الكبرياء رداي، فمن نازعني في رداي قصمته))

3- أن تعبد غير الله :

هناك شرك من نوع آخر : شرك من يعبد غير الله، بأي لون من ألوان العبادة، لئ لا نتوه م أننا لا نعبد غير الله.

قد يقول قائل : من منا يقول : أنا أعبد غير الله؟ لا أحد يقول، ولكن حينما تطيع مخلوقاً وتعصي خالقاً شئت أم أبيت، علمت أم لم تعلم، أنت تعبد هذا الإنسان، إذا أطعت إنساناً وعصيت خالقاً ، فهذا نوع من العبادة، قال تعالى:

((قُلْ أَفَعِيرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ))

[سورة الزمر الآية: 64]

(وَأَقْدُ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)

[سورة الزمر الآية: 65 - 66]

متى يدخل العبد في الشرك حسب نص هذا الحديث؟ :

أيها الأخوة، ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال:

((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن

الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

أنا أبتغي وجه الله، وأبتغي السمعة بين الناس، دخل الشرك، أنا أبتغي وجه الله، لكن كنت أتوقع من هذا المريض الذي أجريت له عملية ناجحة ، أن يكتب كلمة في إحدى الصحف ، يثني على مهارتي في إجراء العملية، الإنسان أحياناً يعمل عملاً، ثم يستجدي مديحاً، لو أنه سكت لكان أحسن له، إذا قدم لك إنسان شيئاً، وهذا الإنسان الذي قدم له الشيء بقي ساكناً ينبهه : كيف وجدت هذه الهدية؟ هل أعجبتك؟ هو يسألك أن تثني عليه، دون أن يشعر الإنسان ، كلما عمل عملاً يحب أن يظهر، هذا مما يجرح إخلاص العمل:

(إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لُؤْجَهُ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)

[سورة الإنسان الآية: 9]

مقياس دقيق :

المقياس الذي أقوله لكم دائماً: إذا ازداد عملك بالثناء، وقلَّ بعدم الثناء، فهناك مشكلة في الإخلاص، وأن عملك إذا ازداد أمام الناس، وضعف بينك وبين الله، هذا مؤشر آخر، ليس في صالحك، وأنت إذا عملت عملاً صالحاً، ولم تشعر بشيء إطلاقاً، أيضاً هذا مؤشر ثالث.

ما العبرة من هذا الحديث؟ :

في حديث آخر: عن أبي الدرداء، يقول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه:

((يا بن آدم، مهما عبدتني ورجوتني، ولم تشرك بي شيئاً، غفرت لك على ما كان منك، وإن

استقبلتني بملء السماء والأرض خطايا وذنوباً، استقبلتك بملئها من المغفرة، وأغفر لك ولا أبالي))
العبرة ألا تشرك.

أيها الأخوة، هذه بعض أنواع الشرك؛ أن تجعل الله شريكاً في الملك والتصرف ، أو أن تتخذ لنفسك صفات كصفات الله، أو أن تطيع مخلوقاً وتعصي خالقاً، هذه أنواع الشرك، وكل نوع في آيات واضحة جلية وفي أحاديث واضحة جلية.

مصطلحات فيها شرك :

أخواننا الكرام، هذه المصطلحات في الإسلام ينبغي أن تكون واضحة في أذهاننا، الشيء المألوف : أن المصطلح إذا كثر ترداده ضعف مدلوله الشرك، أي قد يشرك الإنسان وهو في المسجد، مثلاً : إذا شعر أن الشيخ راض عنه، وهو يفعل الموبقات فيما بينه وبين نفسه، هذا شرك، ماذا يفعل الشيء خ؟ هل يستطيع أن يمنع الله منك؟

والي البصرة قال للحسن البصري بعد أن جاءه توجيه من يزيد: إن نفذ هذا التوجيه أغضب الله، وإن لم ينفذ هذا التوجيه أغضب يزيد، فقال له الحسن البصري: إن الله يمنعك من يزيد، لكن يزيد لا يمنعك من الله.

حينما بيتسم لك إنسان فتطمئن، وأنت مع الله على غير ما يرام هذا شرك، حينما تتوهم أنه يكفي أن يرضى عنك والداك، وأنت لا تتقيد بأمر الله إطلاقاً، هذا نوع من الشرك، ترضي ما سوى الله، ترضي ما سوى الله، تطمئن لوعده ما سوى الله، تخاف من وعيد ما سوى الله، هذا شرك.

من أنواع الكفر :

1-كفر التكذيب :

أيها الأخوة، أما الكفر فهناك كفر التكذيب:

(فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ)

[سورة آل عمران الآية: 184]

تكذيب الرسول أحد أنواع الكفر، الكفر تكذيب ، الشرك مع الإيمان في شريك، الكفر تكذيب . يقول عليه الصلاة والسلام كما ورد في الصحيحين عن أبي موسى ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعِيثِي، وَإِنِّي أَنَا الرَّعِيْبُ الْعُرْيَانُ، فَالْتَّجَاءُ، فَاطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَادْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَجَوًّا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاكَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ))

النبي جاء بالقرآن، والقرآن يصف أهل النيران، والقرآن يصف أهل الجنان، إن صدقت نجوت، وإن لم تصدق لا أحد يجبرك أن تصدق، لكن ادفع الثمن، هذا متى يخشى؟ عند مغادرة الدنيا:

(يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي)

[سورة الفجر الآية: 24]

(يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي)

[سورة الفجر الآية: 24]

خيارك مع الإيمان خيار وقت :

أخواننا الكرام، خيارك مع الإيمان خيار وقت، أكثر كفار الأرض الذي قال : أنا ربكم الأعلى ، حينما أدركه الغرق قال: آمنت بالذي آمنت به آل إسرائيل، يجب أن تعتقد أن كفار الأرض من دون استثناء ، عندما يأتيهم الموت، يصدقون بما جاء به الأنبياء، ولكنهم صدقوا بعد فوات الأوان، ما قيمة الإيمان في غير أوانه؟ لا قيمة له، والدليل:

(لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهُ لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا)

[سورة الأنعام الآية: 158]

2-كفر الإباء والاستكبار :

هناك كفر الإباء والاستكبار، هو قانع أن هذا هو الحق، ولكن مكانته الاجتماعية، ومنصبه الرسمي، ودرجته العلمية، تأبى أن يصلي في مكتبه، تأبى أن يخضع للدين، تأبى أن ينصاع لأهل الحق، هو أكبر من ذلك، هذا كفر الاستكبار، من زعيم الاستكبار؟ إبليس، هو الذي عصى استكباراً:

(أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)

[سورة الإسراء الآية: 61]

(خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)

[سورة ص الآية: 75]

إبليس ما جحد أمر الله، ولا قابله بالإنكار بل قال:

(قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

[سورة الأعراف الآية: 14]

ولكن الذي أهلكه استكباره، أبا أن يسجد لآدم، أبا واستكبر، لذلك معصية الاستكبار يصعب أن يتوب الإنسان منها، لكن معصية الغلبة من السهل جداً أن تتوب منها.
قال تعالى:

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)

[سورة البقرة الآية: 34]

من مواطن الكبر :

في صحيح مسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ))

نقطة من البترول إذا وضعتها في مئة كيلو من الحليب تفسدها، واللبن قد تمزجه بخمسة أضعافه ماء ، فيكون شراباً سائجاً للإنسان، فالكبر آفة الآفات.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا

وَتَعَلُّهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي في سننهما]

هذه الكلمة التي يقولها الناس دائماً، تقال في هذا الموطن، لا في موطن أنك تملأ عينيك من الحرام، فإذا عوتبت على ذلك قلت: إن الله جميل يحب الجمال، هذه الكلمة لا تناسب هذا الموقف، هذه معصية، أما حينما تعنتي بشبابك، وتعنتي بنظافة بيتك، وتكون أنيقاً، ولك مظهر حسن، إن سئلت: لم تفعل هذا فالدنيا فانية؟ قل له: إن الله جميل يحب الجمال.

أيها الأخوة، أما الكبر: فبطر الحق وغمط النفس، البطر: رد الحق، بمجرد أن ترفع امرأة مسلمة دعوى تفريق أمام قاض غير مسلم في بلد أجنبي، لتأخذ نصف ثروة زوجها، مع أن الشرع يعطيها المهر فقط، حينما ترد الحق ، لا تريد حكم الله في هذا الموضوع، تريد تشريعاً أرضياً ، هذا بطر الحق وغمط النفس، لا يحتمل أن يكون إنساناً متفوقاً، يطعن به، لا يحب أن يمدح أحد أمامه، هو محور العالم

ومن علامات قيام الساعة:

((إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً

-أي مادية مفرطة، حرص على المال شديد .
واحد فقير جداً ، أصيب بمرض في يديه ،
بسبب تيار كهربائي، فدل على طبيب ، لعله
يجري له عملية جراحية، لكنه لا يملك ثمن
المعالجة، ففي محسن تبرع له بمبلغ ، زار
هذا الطبيب ، قال له : هل يمكن أن تجرى



من علامات الساعة حرص على المال

عملية لما أنا فيه؟ قال له : لا، هذه العملية يحسنها طبيبٌ مقيم في بريطانيا، ربما أتى إلى الق طر في
الصيف، قال له: شكراً، كم تريد؟ سبعمئة ليرة، أقسم بالله على سؤال وجواب ومبلغ أخذه من محسن،
هذه مادية شديدة جداً، تعالج، وخرج، نسي أن يسأل ماذا يأكل؟ أصبحت معالجة جديدة.
هناك مادية شديدة الآن، المادية الشديدة عبر عنها النبي بالشح المطاع، والهوى المتبع، الجنس كل شيء
في حياة الناس-.

وإعجاب كل ذي رأي برأيه الكبر: -كل واحد محور العالم يقول: أنا لا أرى ذلك من حضرتك.

يقولون هذا عندنا غير جائز قلت: فمن أنتم حتى يكون لكم عند؟

يقول: أنا لا أرى ذلك، ويكون فيه نص شرعي، يكون هناك آية قرآنية، بكل بساطة يرفض الآية،
يرفض الحديث، يرفض كلام للنبي عليه الصلاة والسلام اعتزازاً بالنفس-.

توجيه نبوي :

إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه - إذا بلغت هذا الزمان ، هناك توجيه
نبوي: -فالزم بيتك -وليس معناها ألا تخرج أبداً، أي من بيتك إلى عملك، أي ارجع إلى الب يت، بيتك
جنتك، المؤمن جنته بيته، اعتن بأولادك، خالط المؤمنين فقط- فالزم بيتك، وأمسك لسانك -لا تخض في
أحاديث لا تعنيك- وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، ودع عنك أمر العامة، وعليك بخاصة نفسك))

أخوانك في المسجد، جيرانك المخلصين، أقرباءك الأوفياء، زملاءك الطاهرين، هؤلاء من زميل، إلى جار، إلى قريب، إلى أخ في المسجد، هذا معنى خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة، الإنسان الآن لغم، لا نعرف متى ينفجر؟ .

ما معنى هذا الحديث؟ :

وفي حديث آخر عن الكبر: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِمَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، والترمذي وأبو داود وابن ماجه في سننهم، وأحمد في مسنده]

إياكم أن تظنوا أنه لا يدخله أبداً، بمعنى لا يبقى فيها الإنسان، قد يبقى ملايين السنين إلى أن يطهر، إذا كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لِمَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، وَلِمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ

خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ))

[أخرجه مسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي في سننهما]

3-كفر الإعراض :

هذا كفر التكذيب، وكفر الاستكبار، الآن هناك كفر الإعراض، لا كذب ولا استكبر، الأستاذ يلقى الدرس، وهو ملء السمع والبصر، لو فرضنا أستاذ ضخم الهيئة، وصوته نحاسي، يرن رناً، والطالب ينشغل عن سماع المحاضرة برسومات فارغة على ورق، ما احتقر، ولا استكبر، ولا كذب عليه، ولكن مشغول عنه، هذا اسمه كفر الإعراض، أعرض:

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً)

[سورة طه الآية: 124]

السعادة في القلب وليست في المال:

قبل أن آتي إليكم، كنت عند أخ كريم في زيارة حدثني وهو عندي صادق، قال: زار رجل في هذا البلد، وهو يعلم علم اليقين: أنه يملك على ما يزيد عن أربعة مليارات، شكاه له بيته، شكاه له أولاده، قال: أسافر إلى هذا المكان فلا أرتاح، سافرت إلى سويسرا، إلى أمريكا، لا تعجبني زوجتي، لا يعجبني أولادي، قال لي: والله بركت من شدة الشكوى.

جاءته امرأةٌ محجبة تطلب مساعدة ألف ليرة في الشهر، ذهب إلى بيتها في قرية من قرى دمشق، ليس معقولا، البيت تحت درج، بيت مستحيل أن يسكن، تقول: الحمد لله نحن سعداء، والله ينقصنا أجره البيت ألف ليرة، لها زوج دخله يكفي للطعام والشراب، فقال لرئيس الجمعية الخيرية: أعطها ألفين، قالت: لا، يكفيننا ألف، إنسان يسكن تحت الدرج وهو سعيد، وإنسان يتكلم بأربعة مليارات، وهو شقي:

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)

[سورة طه الآية: 124]

مستحيل وألف مستحيل أن تعرض عن الله وتسد ، ولو كنت غنياً، ولو كنت قويا ، وأساساً العلماء سألوا: ما بال الأغنياء والملوك؟ قال: ضيق القلب في قلبه، قلق، وخوف، ما لو يوزع على أهل بلدٍ إلا كفاهم.

ما موضع الشاهد في هذا الحديث؟ :

يروى البخاري رحمه الله في صحيحه، عَنْ أَبِي وَقْدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ:

((فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةَ فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ))

أنت حينما تأوي إلى الله يقبلك الله، وحينما تقول : الله، يتولاك الله، وحينما تلجأ إلى الله ، يجيبك الله عز وجل، فالمعرض أعرض الله عنه.

واقعة :

قال لي أخ صديق : سافر إلى بلد بعيد بمركبته، والمؤذن يؤذن ، وبإمكانه أن يصلي طبعاً يوم الجمعة ، فأعرض عن الصلاة، دخل إلى استراحة ليرتاح قليلاً، ثم تابع السفر، نسي في الاستراحة أوراقه الرسمية، سار مئة وثمانين كيلو متراً، واضطر أن يرجع مئة وثمانين كيلو متراً ليأخذ أوراقه . أنت حينما تقتطع من وقتك وقتاً لعبادة الله عز وجل ، يحفظ لك وقتك، كيف أنك تؤدي زكاة مالك، أيضاً

ينبغي أن تؤدي زكاة وقتك، أداء العبادات ، وحضور مجالس العلم، واقتطع وقتاً من وقتك الثمين لعمل صالح، هذا زكاة وقتك، عندئذ يحفظ الله لك وقتك، عندئذ يحفظ الله لك وقتك.
قد يمرض الابن، من طبيب إلى طبيب، من تحليل إلى تحليل، إلى إيكو، بعد ذلك يشفى، يكون قد ذهب أربعون أو خمسون ساعة، وعشرة آلاف ليرة، وكان من الممكن أن لا يمرض الابن، فإذا ضمن الإنسان بوقته لعبادة ربه، أو ضمن بوقته لطلب العلم، ضمن بوقته لعمل صالح، قد يتألف وقته بشكل مزعج.

حديث الختام :

عَنْ أَبِي وَقْدِ اللَّيْثِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ، وَالنَّاسُ مَعَهُ ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَهَبَ وَاحِدٌ ، قَالَ :
(فَوْقًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةَ فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ ، وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا ، فَلَمَّا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِثْلَهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ))

أيها الأخوة، في درس قادم إن شاء الله، ننتقل إلى كفر الشك، بقية أنواع الكفر من كفر الجحود أيضاً.

والحمد لله رب العالمين